بِسْمِ اللهِ الرّحمَنِ الرَّحيمِ

التدريب على التّحليل والتأويل والتعليل

للطالبات في دورة البحث العلمي بلاغة

(الرجاء عدم التعليق على المنشور)

ممَّا نفتقرُ إلى الاعتكافِ في محرابِ تدبر ما فيه قولُ الله - سُبْحانَهُ وبِحمْدِهِ - في سورة «الأعراف»:

« إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١) »

لمّا **لَمْ تكنْ طلبةُ** العقلُ البلاغيّ العربيّ من آيات الذكر الحكيم منحصرةً في معنى المنطوقِ على جلالِه تزلفا إلى الله - سُبْحانَهُ وبِحمْدِهِ - بطاعته في قوله :

«كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آَيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ » (ص:٢٩) « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا »(النساء:٨٢) « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ...»(محمّد:٢٤)

وكان التدبر عملا عباديًّا موجبًا السَّعيَ الحثيثَ الذي لا ينقطع إلى أعقاب المعاني ومآلاتها **كان هذا العقل المتعبّد المتزلّف إلى مَوْلاه** مستشرِفًا إلى المعانِي الإحسانيةِّ المتوالدةُ من معنى المنطوق ، وهو جدّ رغُوبٌ عن كلِّ معنى يطوّف حوله غير نسيبٍ بمعنى المنطوق أنيس بسياقِه . فإن كان ذلك المعنى واصلًا رحمه بمعنى المنطوقِ أنس بِه وكفله واستنبته نباتًا حسنًا .

العقل البلاغي العربيّ فريضة عليْهِ أن يسْتبصّر مقتضي الإعرابِ بكل كلمةٍ من كلم هذه الآية الشريفة، يستنطقها، ويصغِي إليها ؛ ليستطعم ما فيها من معاني الهدى ؛ فتكونَ زادَه في سعيِه إلى مرضَاة ربّه - سُبْحانَهُ وبِحمْدِهِ -

١) يتبصَّرالإعراب بـ «إن» مؤكدة نسبة المسند إلى المسند إليه ومقتضِي ذلك التوكيدِ ،وما فيه من عطاء .

٢) ويتبصّرُ الإعرابَ بـ «باسم الموصول وصلته » واصطفاء فعل جملة الصِّلة « الّذين اتقوا»

٣) ويتبصّر طَيَّ الإعرابِ عَن معمول فعل الصلة

٤) ويتبصر الإعرابَ بقوله «الذين اتقوا» دون" الذين آمنوا" ويتبصّر أ يدخل "الذين آمنوا" في «الذين اتّقوا» وكيف ؟

٥) ويتبصَّر الإعراب بـأداة الشَّرط« إذا» دون أم الباب «إن»

٦) ويتبصَّر الإعراب عن فعل الشرط بـقوله «مسّهم » دون غيرِه من الأفعال الدّالة على الإدراكِ

٧) ويتبصَّر الإعراب عن فاعل فعل الشرط بـ «طائف» في قراءة ،وبـ« طيف» في قراءة، وما بيْن القراءتين من اتفاقٍ واختلاف ،وأثر ذلك في اتساع المعنى في فؤاد المتلقّي وما يترتَّب على ذلِك مِن استحقاقاتٍ

٨) ويتبصَّر الإعراب بـ « من الشيطان» وكان يُمكنُ فِي غيرِ القرآنِ أن يقال عربيةً : مسّهم طائفُ الشَّيطان .

٩) ويتبصَّر الإعراب بكلمة « الشّيطان» وما في هذه التّسمية من إعربٍ عن شأنه، وعمَّا يؤول إليْه هو وفعله ،وبين «الشيطان» و« إبليس» دلالة بيانية ومساقات الإعراب عنه بـ« الشّيطان» والإعراب عنه بـ«إبليس» في الذّكر الحكيم. وما يستجنيه المتدبر من ذلك بما يعودُ على علاقته بِه.

١٠) ويتبصَّر الإعراب عن جواب الشّرط بقوله تَعالى «تذكروا » دون قوله « ذكروا» والفرق بيْن« الذّكر» و« التّذكر»

١١) ويتبصَّر الإعراب بطي معمول فعل جواب الشرط «تذكروا»

١٢) ويتبصَّر الإعراب بـالفاء في قوله تعالى « فَإِذَا » . وما مدلول قوله«إذا»؟

١٣) ويتبصَّر الإعراب بـ « مُبْصِرُونَ» دون الفعل "يبصرون" ليناظر« تذكروا »

١٤) ويتبصَّر الإعراب بـطيّ معمول قوله «مبصرون»

فهذه أربع عشرة مسألة ،وهو في كل ذلك ذواعتناء فتي بالعرفان بأومور :

العرفان بالمقتضي الإعرابَ بما أعرب به

والعرفان بدلالة ماا'ربَ به عماأعربَ عَن، ومستوى هذه الدلالة ووجهها مأأمكنه ذلك.

والعرفان بأثر ذلك في أصل المعنى ،أثره في الفؤاد المتلقّي .

وإنه لَحريّ بمن أراد الدُّربة في التحليل والتأويل والتّعليل البلاغي أن يجاهد في استشراف عَلِي العطاءت الرّبانية المكنزوة في هذه الآية ، وأن يتخذ ما سيجود عليه الله تعالى بذلك منها أن يتخذه زادا في سفره إلى مرضاة ربّه سُبْحانه وتعالى .

ومن قبلِ كلّ ذلك نحتاج إلى استحضار خصوصية السورة التي وردتْ فيها هذه الآية.وهي خصوصبة نواتها قوله تعالى« لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ» فهذه بيْت القصيد«أي بيْن المقصود الأعظم»

وكذلك استحضار سباقِ الآية ولحاقها لما لذلك من أثر في حسن الفهم عن الله - سُبْحانَهُ وبِحمْدِهِ-

وان اقتدر أن يستحضر المواضع التي جاء فيها النبأ عن الذين اتقوا في الذكر الحكيم،وناظر الآية بذلك ثم يستخلص الخواص التركيبية والمزايا الدلالية للنبإ عن الذين اتقوا فذلك جد حميد

ثُم إذا ما فرغَ من ذلك قدر الطاقة التي يجود بها ربنا عَزّ وجلّ علينا فِئْنا إلى روضةٍ غناء من رياضِ الفهم .

نفيءُ إلى ما ألقاه الله - سُبْحانَهُ وبِحمْدِهِ- في فؤاد العارفِ بالطّريقِ إلى الله تعالى – أحسبه كذلك ولا إزكي على الله تعالى أحدًا – الشيخ الجليل ابن عطاء الله السّكندري ، فساقاه على لسانه في كتابِه النفيع الرفيع :

« التنوير في إسقاط التدبير»

وحينئذ يكون لنا بصرٌ بما غاب عنا في تدبرنا، وما كان في تدبر ذلك الشّيخ الجليل لهذه الأية، كيما نبصر أسباب غفلتنا عما بصر به الشيخ، فنسعى إلى أن نتطهر من تلك الأسباب لعلنا نتعرض لنفحات الله - سُبْحانَهُ وبِحمْدِهِ-

****

معالم على الطريق :

من العَلّي في مقام التربية والدربة لمن كان له نصيبٌ في العرفان بعلوم العربية وعلوم القرآن إذا أراد أن يتدبر آية من كتاب الله تعالى أن يمارس – بعد أن يتخذ العدة علمًا وإيمانا - التدبر بنفسِه أولًا، ويقيّد ما يكون منه ، وله ، ثم من بعد ذلك يفيءُ إلى أسفارأهل العلم ؛ ليقيس ما جاءه على ما جاء به أعيان العلماء ، فيعلم ما قصر هو فيه ، ويتبصر أسباب ذلك التقصير، ويتطهر

منها ، إمّا إذا بدأ الطالب الذي له من العلم بعلوم العربية ،وعلوم القرآن نصيبٌ موفورٌ بأن يقرأ ما كتب أهل العلم ثم يقول هو بعدهم ، فإنه لا محالة سيقلد ويجتر، ولا يجتهد، وهذا يضره كثيرًا

الأعلى في مقام تربية مثله أن يتخذ مقالات أهل العلم مرجعًا يحتكم إليها ليرى فعله وما أصاب فيه ،وما أخطأ ، وأسباب ما وقع فيه ، فيتطهر.

والله تعالى هو المستجدى هدايته لنا   إلى صراط مستقيم

والحمدُ لله رب العالمين

محمود توفيق محمد سعد